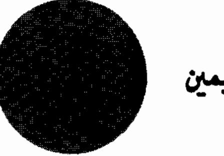
نجـــــــد

منذ القرن العاشر الهجرى

حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب



دكتور : عبدالله الصالح العثيمين

عـلاقتها بالقـوى المحيطة بهـا[1] :

من المعروف لدى كثير من دارسى تاريخ هذه البلاد أنه بعد أن ضـعفت الدولة الاخيضرية التي أسسها محمد بن يوسف العلوي في منطقة اليمامة أصبحت نجد أكثر تفككا من ذى قبل ، كما أصـبحت هدفا لغزوات القـوى المحيطـة بها وفلكا لامتداد نفوذها سواء تلك القوى المتمثلة في الدول التي قامت في شرق الجزيرة العربيـة (الاحساء) أو تلك القـوة المتمثلة في أشراف مكـة .

ويهمنا في هذه الصفحات من الدول التى قامت في منطقة الاحساء دولة الجبريين التي بلغت درجة كبيرة من القوة ، والتى بدأت غزواتها لنجد منذ منتصف القـرن التاسـع الهجـري حيث يقول المؤرخ عبد الله بن بسـام :

« وفي هذه السنة (٨٥١) غزا زامل بن جبر العقيلي العامري ملـك الاحسـاء والقطيف ومعه جنود عظيمة من البادية والحاضرة وقصد الخرج وصـبح الدواسر وعايذ على الخرج وحصل بينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال منالفريقين ثم صارت الهزيمة على الدواسر وعايذ واستولى زامل على محلتهم وأغنامهم وبعض ابلهم وأقام في الخرج نحو عشرين يوما ثم قفل عائدا الى وطنه » (٢)

واستمرت غزوات الجبريين لنجد خلال النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأوائل القرن الذى تلاه، ويلاحظ أن اكثر تلك الغزوات كان موجها ضد قبيلة الدواسر على أن قبائل اخرى كالفضول وآل عايذ وآل مغيرة وسبيع تعرضت لهجمات الجبريين ولكن بدرجة أقل من تعرض القبيلة السابقة ٠ وكان من بين أسباب تلك الغزوات اعتداء القبائل المذكورة على بواد تابعة لحاكم الاحساء أو قوافل تجارية قادمة من تلـــك المنطقة الى نجد ، وكثيرا ما تكللت تلك الغزوات بالنجاح (٣)

وكان للجبريين نفوذ في نجد يوضحه أن بعض المصادر وصـفت أجود بن زامـل أحد حكامهم المشهورين بأنه « رئيس أهل نجد وراسها ٠٠ » (٤) وتدل عليه أيضـا قصيدة جعيثن اليزيدي الحنفي التى يمدح فيها مقرن بن أجود بقوله :

حمى بالقنا هجرا الى ضـاحي اللـوى	الى العـارض المنقـاد نابي الفـرايد
ونجـد رعى ربعـي زاهى فلاتهـا	على الرغـم من سـادات لام وخـالد
وسـادات حجـر من يزيد ومزيـد	قد اقتادهـم قود الفلا بالقـلايد (٥)

على أن الخلافات الداخلية حول الحكم أنهكـت الدولة الجبرية ، وزاد من مصيبتهـا تدخل البرتغاليين في المناطق التابعة لها ، وهو التدخل الذى ذهب ضحيته مقرن بن أجود نفسه سنة ٩٢٧هـ (٦) ثم انتهت هذه الدولة على يد راشد بن مغامس عام ٩٣٢هـ (٧)

وفي الوقت الذى كان فيه البرتغاليون يهـددون جزيرة العرب من عدة جهـات بحرية كان العثمانيون يحرزون انتصارات على خصومهم المماليك ٠ وحين اسـتولى السلطان سليم على مصر سنة ٩٢٣ هـ انضمت الحجاز رسميا تحت النفوذ العثماني واتجهت انظار العثمانيين الى بقية جزيرة العرب رغبة في التوسـع ودفعا لخطـر البرتغاليين عن منطقة تضم مقدسات اسلامية ، وقد نجح العثمانيـون في التـوغل في اليمن وصارعوا البرتغاليين على شواطىء البحر الاحمر كما صارعوهم في منطقـة الخليج ، ثم استولوا على الاحساء سنة ٩٦٣ هـ (٨) وباتت نجد محاطة من جميـع جهاتها تقريبا بمناطـق خاضعة للعثمانيين الامر الذي يبدو أن أشراف مكة حاولوا استغلاله لمصلحتهم ٠ ومن حسن حظ هؤلاء الاشراف أنه في تلك الفترة بالذات ظهرت بينهم شخصيات قوية كأبي نمي الثانى فبدأت غزواتهم لنجد حين قام حسن بن أبي نمي المذكور بغزوة اخترق بها نجدا حتى وصل الى العارض وهاجـم بلدة معكـال التى أصبحت جزءا من مدينة الرياض الحالية وذلك سنة ٩٨٦ هـ ثم هاجم أمكنـة تقع جنوب المنطقة السابقة بعد ذلك بثلاث سنين (٩) واسـتمرت غزوات الاشراف لنجد بعد ذلك وان كانت متباعدة في أوقاتهـا (١٠)

ويلاحظ أن اكثر غزوات الاشراف هذه كانت موجهة ضد سكان المدن والقرى بعكس هجمات الجبريين التى كانت موجهة عموما ضد رجال القبائل • وبما أن الحضر عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فانه من المستبعد أن تكون حماية طرق تلك القوافل سببا لغزوات الاشراف لنجد • والمرجح أن تلك الغزوات كانت تهدف الى الحصول على غنائم وفرض سلطة عليا على البلاد تفرض من خلالها ضرائب سنوية على السكان • والمتتبع لاجراءات الاشراف يرى ذلك بوضوح فقد كان على بعض البلاد النجدية فيوقت من الاوقات ان تدفع مبلغا منالمال كل سنة الىخزينة مكة (١١) كما كان فشل بعض هذه البلاد في دفع المبلغ المفروض عليها أو محاولتها الثورة سببا في معاقبتها بشدة (١٢)

وفي غضون ذلك كانت قبيلة بنى خالد آخذة طريقها الى الزعامة حتى تمكنت من فرض قوتها في شرق جزيرة العرب خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر الهجرى • كما كان نفوذ العثمانيين آخذا في التقلص نتيجة المتاعب الداخلية والخارجية التي كان العثمانيون يواجهونها ، وكانوا قد اضطروا الى ترك اليمن بسبب الثورة التي قامت ضدهم هناك • وقد استغل بنو خالد هذه الفرصة فهاجموا بقيادة براك بن غرير قوات العثمانيين في الاحساء وطردوهم من تلك المنطقة سنة ١٠٨٠ هـ (١٣)

وما أن تمكن بنو خالد من السيطرة على مقاليد الامور في الاحساء حتى اتجهت أنظارهم الى مد نفوذهم في بعض مناطق نجد فغزا براك بن غرير آل نبهان قرب سدوس عام ١٠٨١ هـ وبعد سبع سنوات هاجم آل عساف قرب الدرعية (١٤) ومضى بنو خالد يغزون نجدا ويحاولون مد نفوذهم على أجزاء منها (١٥) مزاحمين بذلك نفوذ أشراف مكة • وكانت علاقة النجديين بحكام الاحساء ذات أهمية خاصة لان منطقة الاحساء كانت متنفسا اقتصاديا لنجد حيث كان يذهب اليها النجديون بحثا عن الرزق خاصة في أوقات الشدة والقحط (١٦) ، كما كانوا يترددون اليها ليستوردوا منها أو عن طريق موانئها ما يحتاجون اليه •

وعلى أية حال فاننا حينما نتكلم عن نفوذ تلك القوى المحيطة بنجد في هذه المنطقة فاننا لا نعني به النفوذ القوي الذى يفرض وجوده على سير الحوادث بدرجة كبيرة ، ذلك أنه لا نفوذ الجبريين في نجد ولا نفوذ أشراف مكة في بعض جهاتها أو نفوذ بنى خالد في بعض جهاتها الاخرى أحدث فيها نوعا من الاستقرار السياسي ، فالحروب بين البلدان النجدية استمرت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة لم يتوقف أو تخف حدته

الهوامش والمصــادر

١ ـ الهدف الرئيسي من هذه المقالات اعطاء فكرة مختصرة عن الاوضاع السائدة في نجد خلال تلك الفتــرة سياســيا واجتماعيا ودينيــا ٠

٢ ـ « تحفة المشتاق في اخبار نجد والحجاز والعراق » صورة نقلها من المخطوطة الاصلية نور الدين شريبه ، ورقه ٨ ٠ وكلام ابن بسام صريح في أن زامل بن جبر كان حاكم الاحساء والقطيــف آنذاك ، ولكن السخاوي في « الضوء اللامع » (القاهرة ، ١٣٩٣ هـ) ٠ ج ١ ص ١٩٠ يقــول ان سيف بن زامل هو الذى انتزع حكم تلك المنطقة من بنى جروان ٠ وقد يكون سيف هو الذى قــام بتلــك الغــزوة ٠

٣ ـ عبد الله بن بسام ٠ المصدر السابق ٠ الورقات ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥ و١٦ ٠

٤ ـ السمهودى ٠ « وفاء الوفا » (القاهرة ، ١٣٢٦ هـ) ج ٢ ص ٢٨٨ ٠

٥ ـ حمد بن لعبون ٠ « تاريخ حمد بن لعبون » (مكة ، ١٣٥٧ هـ) ص ٣٢ ، قارن الشــيخ حمــد الجاسر ٠ « مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ » (الرياض ، ١٣٨٦ هـ) ص ٨٣ ٠

٦ ـ ابن اياس « بدائع الزهور » (القاهرة ، ١٣٨٠ هـ) ج ٥ ص ٤٣١ ٠ ذكر الاستاذ جورج رنتز في مقاله « جزيرة العرب » في الطبعة الجديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغة الانجليزية أن مقرنا كان عم وخليفة أجود ٠ والواقع أن مقرنا كان ابن أجود لا عمه كما انه لم يخلفــه على الحكــم وانما خلــف أجود ابنه محمد ٠

٧ ـ محمد آل عبد القادر ٠ « تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القــديم والجديد » (الريــاض ١٣٧٩ هـ) ج ١ ص ١٢١ ٠

٨ ـ محمد آل عبد القادر ٠ المصــدر السابق ج ١ ص ١٢١ ٠

٩ ـ عبد الملك العصامي « سمط النجوم العوالي ٠٠ » (القاهرة ، ١٣٨٠هـ) ج ٤ ص ٣٦٨ ٠ قارن ابن بشر « عنوان المجد ٠٠ » طبعـــة وزارة المعـــارف السعودية الثانيـــة ١٣٩١ هـ ج ٢ ـ ســـــوابق ـ ص ١٩٥ ٠

١٠ ـ المصـــــــدر الســـابق ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ٢٢٣ و ٢٣٨ ٠

١١ ـ المصـــــــدر الســـابق ص ١٩٥ ٠

١٢ ـ ابراهيم بن عيسى ٠ «تاريخ بعض الحوادث الواقعة فينجد ٠٠ » (الرياض ، ١٣٨٦هـ) ص ٧٠
Gerald de Gawry " Rules of Mecca " (London , 1951) p. 158.

١٣ ـ ابن بشر ٠ المصـــدر السابق ، ٠ ج ٢ ـ سوابق ـ ص ٢١١ ٠

١٤ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٢ و٢١٣٠ ٠ ٢٢٨ ، ٢٤١ و ٢٣٣ ٠

١٥ ـ المصـــدر السابق ص ٢١٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٥

١٦ ـ المصـــــدر السابق ص ٢١٣ و ٢٣٥ ٠

Abn Hahoima. "Hirtory of Eostern Arabia (1750—1800)" (Beirut, 1963) p. 40.